مفهوم التصّوف في إقليم كردستان دراسة فكرية تحليلية

زاهد خالد فائز

أ. م. د. زياد إسماعيل الخُوراني

ملخص

الفكر الصوفي انتشر بين المسلمين في وقت مبكر من تأريخ الإسلام، وكان انتشاره تصحيحاً للمسار الذي نحاه المجتمع الإسلامي بعد خير القرون، حيث فشت المادية وحياة الترف، فنشأت فكرة التصوف من أجل الرجوع إلى الزهد، وعدم الانغماس في الحياة المادية، والمتع الزائلة، ثم ما لبث أن أصبحت هذه الفكرة منهجاً، ومسلكاً، وطريقة، يقودها شيوخ وأعلام كبار كما أن لها أتباعاً وأنصاراً، فانتشرت هذه الفكرة أيضاً بين الشعب الكردي، وفي منطقة كردستان بصورة عامة، وإقليم كردستان العراق بصورة خاصة نظراً إلى قرب كردستان من حواضر العالم الإسلامي في ذاك الوقت، مثل بغداد، ودمشق، فانتشر التصوف بين الكرد بصورة سريعة، وأصبح المجتمع الكردي خاضعاً لطرق التصوف، ومن هذا المنطلق يأتي هذا البحث ليتناول دور التصوف في الحفاظ على الفكر العقدي الصحيح في إقليم كردستان، متناولاً هذه القضية من خلال أربعة مباحث. يتناول المبحث الأول التعريف بمفهوم التصوف، والمبحث الثاني نشأة التصوف في العالم الإسلامي، والمبحث الثالث انتشار التصوف في إقليم كردستان، والمبحث الرابع الأفكار العامة للتصوف الإسلامي.

Summary

Sufi thought spread among Muslims early in the history of Islam, and its spread was a correction of the path that the Islamic community followed after the best of centuries, when materialism and a life of luxury spread, so the idea of Sufism arose in order to return to asceticism, not to indulge in material life, and fleeting pleasures, then what Soon, this idea became a method, path, and method, led by senior sheikhs and scholars, and it also had followers and supporters. This idea also spread among the Kurdish people, and in the Kurdistan region in general, and the Kurdistan region of Iraq in particular, given the proximity of Kurdistan to the cities of the Islamic world at that time. Time, such as Baghdad and Damascus, Sufism spread among the Kurds quickly, and the Kurdish society became subject to the methods of Sufism, and from this standpoint this research comes to deal with the role of Sufism in preserving the correct doctrinal

thought in the Kurdistan region, dealing with this issue through four topics. The first topic deals with the definition of the concept of Sufism, the second topic deals with the emergence of Sufism in the Islamic world, the third topic deals with the spread of Sufism in the Kurdistan region, and the fourth topic deals with thegeneral ideas of Islamic Sufism.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وأفضل الخلق أجمعين، محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطيبين، وصحابته المكرمين، ومن تبع هداه، وسار على سنَّته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الدين الحق يتكون من: الإيمان، الإسلام، الإحسان، فبيان الإيمان شأن ومهمة علماء العقيدة والكلام، والإسلام شأن علماء الفقه والمجتهدين، والإحسان شأن الأولياء الصالحين والعارفين، مع عدم إهمال كل من هؤلاء لأي جانب من تلك الجوانب الأخرى لأن تلك الأركان متلازمة شرعاً لزوماً بيّناً بالمعنى الأعم .

وقد بذل كلٌّ من علماء العقيدة، والفقه، والعرفان جهداً كبيراً في نشر الإسلام، والدعوة إليه بأساليب متنوعة، لا سيما الصوفيون منهم، فهم عبر مختلف القرون، وفي مختلف الأماكن قاموا بإنارة قلوب المسلمين بتعاليم الإسلام، فلا ينحصر جهد العارفين في زمان، ولا في مكان، بل استفاد منهم الأجيال المتتابعة والأقوام المختلفة، ومن ضمنهم الشعب الكردي المسلم في إقليم كردستان العراق، حيث استفاد المسلمون في كردستان العراق من المعارف المعنوية في السلوك والدعوة إلى الله تعالى، وانخرط الكثير من العلماء والفقهاء الكرد في سلك التصوف والعرفان فضلاً عن عامة الأمة، وبذلوا قصارى جهدهم للإرشاد والدعوة، ونشر العلم والمعرفة والعرفان تأليفاً وتدريساً وتربيةً وتزكيةً وإصلاحاً.

ومن هذا المنطلق يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على إبراز دور التصوف والصوفية في الحفاظ على الفكر العقدي الصحيح في إقليم كردستان، وذلك من خلال اتباع خطةٍ مؤلَّفةٍ من مقدمةٍ، وأربعة مباحث، وخاتمةٍ، مع أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.
وفيما يلي تفصيل البحث:

المبحث الأوّل: مفهوم التّصوّف في اللغة والاصطلاح :

المطلب الأول: التّصوّف في اللّغة:

في هذا المبحث من البحث سنتطرق إلى التّعريف بمصطلح التّصوّف في اللّغة والاصطلاح، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأوّل: التّصوّف في اللغة :

مصطلح التّصوّف من المصطلحات الّتي كثر حوله القيل والقال، وقد تعدّدت آراء العلماء حول الأصل اللّغوي لهذه الكلمة، ففي المعاجم اللّغوية ورد ذكر هذه الكلمة تحت مادّة (صوف)، وقد أفاض الدكتور زكي مبارك (ت١٣٧١هـ)[١] في تأصيل الاشتقاق اللّغوي لهذه الكلمة، فذكر أنّ كلمة التّصوّف والصّوفي "تحتمل أربعة فروضٍ: الأوّل: أن يكون الصّوفي منسوباً إلى صوفة، والثّاني: أن يكون منسوباً إلى الصّوف، والثّالث: أن يكون مشتقاً من الصّفاء، والرّابع: أن يكون منسوباً إلى كلمة "سوفيا" اليونانية"[٢].

وبالنّسبة لـ "صوفة"، فقد ذكر ابن فارس (ت٣٧٩هـ) أنهم: "قومٌ كانوا في الجاهليّة، كَانوا يَخْدُمون الكعبة، ويُجِيزون الحاجَّ"[٣]،أي: يفيضون بهم... وكانت العرب إذا حجت وحضرت عرفة، لا تدفع منها حتى تدفع بها صوفةُ، وكذلك لا ينفرون من منى حتى تنفر صوفةُ، فإذا أبطأت بهم قالوا: أجيزي صوفةُ[٤]، ويقول الفيروزآبادي: الصّوفان: كلّ من ولي شيئاً من عمل

---

(١) محمد زكي بن عبد السلام بن مبارك، ولد في المنوفية بمصر سنة ١٣٠٨هـ، وتعلم في الأزهر، ونال الدكتوراه من الجامعة المصرية، ثم من جامعة السوربون، واشتغل بالتدريس بمصر، وبغداد، وله مؤلفات كثيرة، ومنها: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، اللغة والدين والتقاليد في حياة الاستقلال، النثر الفني في القرن الرابع، ليلى المريضة في العراق. ينظر ترجمته في: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين،ط١٥ – أيار / مايو ٢٠٠٢ م : ٤٧/٤.

(٢) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م: ص٥٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة،ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م: ٣٢٢/٣.

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط ،د.ت.: ٤٠/٢٤.

البيت، وكذلك الصّوفةُ كانوا يخدمون الكعبة، ويتنسّكون، ولعلّ الصّوفية نسبت إليهم، تشبيهاً بهم في التّنسّك والتّعبّد"[١].

وبالنّسبة للاحتمال الثّاني الّذي يعبر عن التّقشّف والزّهد، وترك الدّنيا وترك التّنعمّ بملذّاتها المباحة، والابتعاد عن المباحات الشّرعية، فقد علّق القشيري (ت٤٦٥هـ) على هذا بقوله: "فذلك وجه، ولكنّ القوم لم يختصّوا بلبس الصّوف"[٢]، لكن الدّكتور صالح الرّقب[٣]رجّح هذا الاحتمال، فقال: "والصّواب نسبة التّصوّف إلى الصّوف، وهو الأقرب إلى الاشتقاق اللّغوي، كما أنّه الأقرب إلى ذوق الصّوفية وحالهم في تمسّكهم بلباس الصّوف، وقد ذهب إلى تقرير هذا القول كثيرٌ من العلماء في نسبتهم لهذه الطّائفة الّتي لم توجد في زمن النّبيّ صلى الله عليه وسلم -- ، ولا في زمن الصّحابة ولا التّابعين لهم بإحسانٍ، إذ لو وجدت في هذه الأزمنة وعرفها النّاس وعرفوا مسالكها لاشتهرت تسميتها، ولمّا حصل لبسٌ أو خلافٌ في حقيقتها واتّجاهاتها بين المتأخّرين"[٤].

ولم يرجح أحد ممن يعتبره من العلماء القدامى والمحدثين تصحيح النسبة إلى كلمة سوفيا اليونانية لمخالفة الصوفية مع الفلسفة اليونانية ولأن عبارات الصوفية كلها كلمات نابعة عن الكتاب والسنة ومبنية عليهما. وهناك من أرجع الكلمة إلى (الصّفِ) لكونهم كانوا بالصف الأول بالجهاد في سبيل الله وفي الجماعة عند الصلوات [٥] .

المطلب الثاني: **التّصوّف في الاصطلاح**:

عرَّف العلماء وأهل العلم مصطلح التّصوّف بتعريفاتٍ متعدّدةٍ، وبألفاظٍ وتعابير متباينةٍ وذلك نظر لتباين أذواقهم واختلاف مقاماتهم ومدارمهم السلوكية، وفيما يلي نعرض جملةً من أشهر وأهمّ تلك التّعريفات لكي يتضّح المصطلح اتّضاحاً تامّاً من كلّ الوجوه وجميع الأبعاد:

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٤١/٢٤.

(٢) الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الدكتور عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط١: ٤٤٠/٢.

(٣) هو صالح حسين سليمان الرقب ،ولد عام ١٩٥٣م في بني سهيلا، قيادي في حركة حماس وحركة الإخوان المسليمون وكيل وزارة الأوقاف في غزة وأستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة- كلية أصول الدين الجامعة الأسلامية في غزة.ينظر: https: //ar.wikipedia.org/wikiتاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/٢/٧.

(٤) دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، د. صالح الرقب، د محمود الشوبكي، الجامعة الإسلامية، غزة، ط١، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٦م: ص ٩.

(٥) ينظر: الحقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، ط١٦،١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م، دار العرفان سوريا-حلب: ص٢٠.

فقد قال الجنيد البغدادي (ت٢٩٧هـ)في تعريفه: "التّصوّف: استعمال كلّ خُلقٍ سنّيٍ، وترك كلّ خُلقٍ دنيّ"(١).

وعرّفه محي الدّين ابن عربي (ت٦٣٨هـ) موضّحاً معنى التّصوّف: "التّخلّق بأخلاق الله هو التّصوّف"(٢).

ويقول أبو الحسن الشّاذلي (ت٦٥٦هـ): "التّصوّف: تدريب النّفس على العبودية، وردّها إلى أحكام الرّبوبية"(٣).

ومن التّعريفات المستحسنة ما ورد عن الشّيخ زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ) حيث يقول: "التّصوّف: علمٌ تعرف به أحوال تزكية النّفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السّعادة الأبدية"(٤).

وعرّفه الشّريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) بأنّه: "تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدّعاوى النّفسانية، ومنازلة الصّفات الرّوحانية، والتّعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السّرمدية، والنّصح لجميع الأمّة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم -- في الشّريعة"(٥).

ومن الباحثين المحدثين الّذي أورد تعريفاً عامّاً للتّصوّف الدكتور طلعت غنام(٦)، في كتابه (أضواء على التّصوّف) إذ يقول: "يرى المسلمون أنّ المقصود بالتّصوّف في عمومه: هو السّير في طريق الزّهد، والتّجرّد عن زينة الحياة الدّنيا وشكلياتها، وأخذ النّفس بأسلوبٍ من التّقشّف، وأنواعٍ من العبادة والأوراد، والجوع، والسّهر في الصّلاة أو تلاوة أورادٍ حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي، ويقوى فيها الجانب النّفسيّ أو الرّوحيّ، فهو إخضاع الجسد للنّفس

---

(١) النصرة النبوية، مصطفى المدني، مطبعة العامرية، مصر: ص ٢٢.

(٢) الفتوحات المكية، محي الدين محمد بن علي بن محمد المعروف بابن عربي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت: ٤٠٢/١.

(٣) حقائق عن التصوف: ص ١٨.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٧.

(٥) التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت: ص ٦٣-٦٤.

(٦) بعد البحث وتقصي لم أعثر على ترجمته.

بهذا الطّريق المتقدِّم سعياً إلى تحقيق الكمال الأخلاقي للنّفس كما يقولون، وإلى معرفة الذّات الإلهية وكمالاتها، وهو ما يعبّرون عنه بمعرفة الحقيقة"[١].

المبحث الثاني تاريخ نشأة التّصوّف وظهوره:

يختلف الباحثون وأهل العلم حول تاريخ نشأة علم التّصوّف في العالم الإسلامي والكيفية الّتي بها بدأت حركة التّصوّف في المجتمع الإسلامي ، وهنا في هذا المطلب سنتناول هذه المسألة من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الاول: **نشأة التّصوّف**:

من المعلوم أنّ أوّل وأشهر سمةٍ من سمات التّصوّف هو الزّهد في الدّنيا، وترك التّلذّذ والتّنعّم بالمباحات، والزّهد في الشّريعة الإسلامية فضيلةٌ من الفضائل الّتي تقرّب العبد إلى الله تعالى، والزّهد يجعل المسلم مسلماً صالحاً ربّانياً يسلم المسلمون من لسانه ويده، وفي القرآن الكريم إشاراتٌ كثيرةٌ إلى التّحلّي بالزّهد، وفي السّنّة النّبوية أحاديث كثيرةٌ تحثّ المسلمين على التّحلّي والتّزيّن بالزّهد[٢]، والرّسول صلى الله عليه وسلم -- كان أزهد النّاس في الدّنيا[٣]، وقد كانت بداية التّصوّف انطلاقاً من الزّهد والورع، إلّا أنّه مع ذلك يؤكّد الباحثون على أنّه لم تستخدم كلمة الزّهاد في القرنين الأوّل والثّاني كعلم لطائفةٍ أو جماعةٍ من المسلمين.

وبعد عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم --وفي أواخر عهد الخلفاء الرّاشدين بدأت الخلافات والنّزاعات تنبت بين المسلمين، واشتدّت وتيرة تلك النّزاعات حيث أدّت إلى الاقتتال الدّاخلي بين أبناء الدّين الواحد والشّريعة الواحدة، فهذه الظّروف الجديدة خلقت حالةً من الارتباك والاضطراب النّفسي داخل المجتمع الإسلامي، وبالتّالي أدّت إلى أن يتجّه المسلمون إلى الزّهد والابتعاد عن القضايا والمسائل الدّنيوية البحتة، وبصورةٍ خاصةٍ عقب اندلاع الحروب والقتال بين المسلمين، واشتداد النّزاع بين أنصار الإمام علي، وأنصار الإمام معاوية ، ففي تلك الظّروف العصيبة اختار معظم الصّحابة، وخيرة التّابعين، وخيار المسلمين الانصراف من المشهد العام،

---

(١) أضواء على التصوف، نقلاً عن: سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الإسلام، د. طلعت غنام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م: ص٢٦.

(٢) ينظر: رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م: ص ١٧١-١٧٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٧٩.

والابتعاد عن السّاحة المشتعلة، وبالتّالي التّوجّه نحو باب الله تعالى وحده بغية نيل رضاه وفضله، ومنهم سعيد بن جبير الّذي كان يبكي حتّى عمَشَت عيناه[1].

وإنّ أهمّ ما يميّز تلك المرحلة عن غيرها أنّ الزّهد والورع في تلك المرحلة كان زهداً عملياً بعيداً عن النّظريات والقواعد والضّوابط الّتي رسمها المتصوّفون لأتباعهم الزّهاد، ومن ناحيةٍ أخرى فإنّ مصدر الزّهد في تلك المرحلة كان كتاب الله تعالى، والسّنّة النّبوية المطهّرة، وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين والصّحابة رضي الله عنهم الأجلّاء وغيرهم من خيرة التّابعين وتابعيهم والمؤمنين.

ثمّ في العقود اللّاحقة استمرّ الزّهاد على زهدهم وورعهم، ومن ناحيةٍ أخرى طوّر الزّهاد من عبادتهم حتّى أصبحوا لاحقاً جماعةً أو طائفةً بين المسلمين، وأخذ المجتمع يطلق عليهم التّسميات، ومن بين تلك الأحوال أتى اسم الصّوفية، وأصبح يطلق على الّذين يشتغلون بالزّهد والعبادة، ويتركون الدّنيا ونعيمها، ويميل الشيخ ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، وقبله ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) إلى أنّ كلمة الصّوفية كانت موجودةً في القرون الثّلاثة الأولى، ولكنّها لم تكن مشهورة، وقد بدأت في الظّهور والاشتهار عقب تلك القرون، وقد نقل التّكلّم به عن غير واحدٍ من الأئمّة والشّيوخ كالإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، وأبي سليمان الداراني(ت٢١٥هـ.) وغيرهما، وقد روي عن سفيان الثّوري (ت ١٦١ هـ) أنّه تكلّم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري (ت ١١٠ هـ)[2].

وقد انقسم العلماء وأهل الاختصاص إلى رأيين حول فترة ظهور التّصوّف، وهما:

الرّأي الأوّل: يرى بعض العلماء أنّ التّصوّف واسم الصّوفية نشأت وظهرت في القرن الأوّل الهجري، ومن هؤلاء الشّيخ أبو سراج الطوسي (ت٣٧٨هـ)، وإذ يستدلّ على رأيه بروايتين تحت بابٍ سمّاه بـ "باب الرّد على من قال: لم نسمع ذكر الصّوفية في القديم، وهو اسمٌ محدثٌ"، وممّا يقول: "وأمّا قول القائل: إنّه اسمٌ محدثٌ أحدثه البغداديون، فمحالٌ؛ لأنّ في وقت الحسن البصري كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعةً من أصحاب رسول الله صلى الله

(١) ينظر: لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، أبو محمد الشعراني، مكتبة محمد المليجي، مصر، ١٣١٥هـ: ٣٦/١.

(٢) ينظر: الصوفية والفقراء، ابن تيمية، تحقيق: محمد جميل غازي، دار المدني، جدة، ط١.: ص١٣، ومقدمة ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، تحقيق، دار القلم، بيروت/١٩٨٤: ص٤٦٧، وتلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق د. السيد الجميلي، الناشر دار الكتاب العربي،١٤٠٥ – ١٩٨٥، بيروت: ص ١٥٧.

عليه وسلم -- ، ورضي عنهم، وقد رُوي عنه أنّه قال: رأيت صوفياً في الطّواف، فأعطيته شيئاً، فلم يأخذه، وقال: معي أربعة دوانيق (١)، يكفيني ما معي، وروي عن سفيان الثوري رحمه الله(ت ١٦١ هـ) أنّه قال: لولا أبو هاشم الصّوفي(٢) ما عرفت دقيق الرّياء"(٣).

ويقول ملا عبد الرحمن الجامي (ت٨٩٨هـ):"أبا هاشم الكوفي؛ أوّل من دعي بالصّوفي، ولم يسمّ أحدٌ قبله بهذا الاسم، كما أنّ أوّل خانقاه بني للصّوفية هو ذلك الّذي في رملة الشّام"(٤).

ويقول أبو القاسم القشيري (ت٤٦٥هـ):"اعلموا، رحمكم الله تعالى، أنّ المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم -- لم يتسمّ أفاضلهم في عصرهم بتسميةٍ علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم -- ، إذ لا فضيلة فوقها، فقيل لهم: الصّحابة، ولمّا أدركهم أهل العصر الثّاني سمّي من صحب الصّحابة: التّابعين، ورأوا ذلك أشرف سمةٍ، ثمّ قيل لمن بعدهم أتباع التّابعين، ثمّ أختلف النّاس، وتباينت المراتب، فقيل لخواص النّاس ممّن لهم شدّة عنايةٍ بأمر الدّين: الزّهاد والعبّاد، ثمّ ظهرت البدع، وحصل التّداعي بين الفرق، فكلّ فريقٍ أدّعوا أنّ فيهم زهداً، فانفرد خواصّ أهل السّنّة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التّصوّف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"(٥).

الرّأي الثّاني: يرى أصحاب هذا الرّأي أنّ التّصوّف وكلمة الصّوفي ظهرت في القرن الثّاني للهجرة، ويرجعون ذلك إلى أنّه في القرن الأوّل الهجري لم يكن هناك حاجةٌ إلى ظهور مثل هذه المصطلحات والكلمات، ولكن بعد ظهور النّزاعات والخلافات بين المسلمين، وظهور التّرف والحياة المادّيّة في المجتمع الإسلامي، وتفشّي الإقبال على الدّنيا وملذّاتها، ظهر بوادر التّصوّف المنظّم، وأصبح اسم الصّوفي يطلق على أفرادٍ من هنا وهناك، وممّن ذهب إلى هذا الرّأي: ابن خلدون، وابن تيمية(٦).

---

(١) أي سدس الدينار والدرهم. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت،ط١: ١٠/ ١٠٥، مادة: دنق.

(٢) لم أعثر له على ترجمة مفصلة إلا ما ذكره حاجي خليفة أنه توفي سنة ١٥٥هـ، وأن أصله من الكوفة، وأنه أول من انتسب إلى التصوف واشتهر بالصوفي. ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا٢٠١٠م: ١/١٠٦.

(٣) اللمع، أبو نصر السراج الطوسي، تحقيق: عبدالحليم محمود، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠م.: ص ٤٢.

(٤) نفحات الأنس، نقلاً عن: إحسان إلهي ظهير، التصوف: المنشأ والمصادر، عبدالرحمن الجامي، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ط١، ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م: ١/٤١.

(٥) الرسالة القشيرية: ١/٣٤.

(٦) ينظر: الصوفية والفقراء: ص ١٣،وابن خلدون، المقدمة: ص٤٦٧.

المطلب الثاني: مراحل تطوّر التّصوّف:

لم ينشأ التّصوّف دفعةً واحدةً، بل مرّ بعدة مراحل تاريخيةٍ حتى وصل إلى طور التّكوين والكمال، وفيما يلي نستعرض أهمّ هذه المراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة البذور والبوادر الأولى، وهي مرحلة الزّهد الفردي، والورع، والانصراف عن ملذّات الحياة الدّنيوية ومباهجها، وقد كان ذلك في القرنين الأوّل والثّاني للهجرة، ويرى "الدكتور عرفان عبدالحميد فتاح(١)" أنّ ظاهرة الزّهد كانت نتيجةً لتأثيراتٍ نفسيّةٍ تنامت بفعل عوامل اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وسياسيةٍ ظهرت في أثناء مراحل تطوّر المجتمع الإسلامي ونموّه، ومنها:

١- المبالغة في الشّعور بالخطيئة الّذي تبلور لمآسي الحروب الأهلية وويلاتها، والّتي استنزفت قوى المسلمين وذهب ضحيّتها رجالٌ من الصّحابة، وبلغت ذروتها في مأساة كربلاء، واستشهاد الحسين ϖ.

٢- الرّعب الّذي استولى على قلوب بعض المسلمين من عذاب الله وأهوال الآخرة.

٣- محاولة خواصّ المسلمين محاربة الاتّجاه المادّيّ المسرف الّذي تلبّست به الطّبقة الأرستقراطية(٢)المتنفّذة من الحكام، وتفشّي اللّهو والانغماس في متع الحياة الرخيصة، والميل إلى الملذّات، والخروج عن القصد، واضطراب المقاييس(٣).

وأمّا الدكتورة عفاف مصباح بلق(٤)، فتشير إلى أنّ التّوجّه نحو الزّهد في هذه المرحلة كان تحت تأثير أسبابٍ إسلاميةٍ محضةٍ، ثمّ توضح تلك الأسباب في السّببين التّاليين:

---

(١) عرفان عبد الحميد فتّاح، مفكر وفيلسوف وداعية عراقي، أستاذ في الفكر الإسلامي، دكتوراة في العقيدة والفكر الإسلامي من جامعة كامبريدج في بريطانيا سنة ١٩٦٠ م. ولد في مدينة كركوك، العراق، سنة ١٩٣٣م،وتوفي سنة ٢٠٠٧م، في أثناء عمله أستاذاً بقسم كلية أصول الدين والأديان المقارنة بكلية معارف الوحي والتراث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.ينظر : https: //ar.wikipedia.org/wikiتاريخ زيارة: ٢٠٢٣/٢/٧.

(٢) هي عبارة عن أقلية من الناس محكومة من قبل طبقة متميزة صغيرة نسبيًا ويُفترض بهم هؤلاء أنهم الأفضل تأهيلًا للحكم، والطبقة الأرستقراطية تعني حكم القلة المتفوقة أخلاقيًا وفكريًا والتي تحكم أيضًا لصالح الجميع وشكل هذه الحكومة يختلف بحكمها عن حكم الفرد ولذلك يستخدم مصطلح الطبقة الأرستقراطية ليعني الطبقة العليا الحاكمة من مجموعة مستوية فهي طبقة كبار الشخصيات الدينية.ينظر https: //www.ammonnews.net تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/٢/٧

(٣) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، عرفان عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م: ص١٣٩.

(٤) بعد البحث وتقصي لم أعثر على ترجمته.

السّبب الأوّل:تعاليم الإسلام، تلك التّعاليم الّتي تنبع من الكتاب العزيز والسّنّة النّبوية المشرّفة والّتي تحثّ المسلمين على الزّهد في الدنيا، وتدعوهم إلى اختيار حياة الورع والتّقشّف والتّنسّك.

السّبب الثّاني: اتّساع رقعة دولة المسلمين، وما نتج عن بناء الدّولة وازدهارها من حياة التّرف والبذخ والرّفاهية، واطّلاع المسلمين على تراث وثقافات الشّعوب والأمم الأخرى، ممّا أثار حفيظة جماعةٍ من المسلمين، فاعتزلوا تلك الحياة المترفة، وابتعدوا عن السّياسة والنّزاعات الدّائرة وقتئذٍ، والفتن الّتي حدثت، من قبيل: مقتل عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعددٍ كبيرٍ من الصّحابة الكرام رضي الله عنهم، فهذه الأحداث أدّت ببعض المسلمين إلى أن يعتزلوا الحياة الاجتماعية، والتّوجّه نحو القرآن الكريم والسّنّة النّبوية، فظهر الزّهد والورع، ويعدّ الشّيخ حسن البصري أكبر مثالٍ لهذه الحركة الّتي توجّهت هذا الاتّجاه(١).

المرحلة الثانية: مرحلة تحوّل الزّهد الفردي إلى الزّهد المنظّم والتّصوّف، وقد كان ذلك في القرنين الثّالث والرّابع الهجري، وقد كان سبب هذا التّحوّل تفشّي حياة البذخ والتّرف في المجتمع الإسلامي الجديد، والانغماس في الحياة المادّية، ففي هذه المرحلة لم يعد الزّهد سلوكاً فردياً، وإنّما تحوّل وتطوّر إلى حركةٍ منتظمةٍ يطلق عليها اسم التّصوّف، ويوصف الأفراد الّذين ينضوون تحت لوائها اسم الصّوفية، وفي هذه المرحلة بدأت الصّوفية يتكلّمون حول مفرداتٍ ومصطلحاتٍ جديدةٍ لم تكن مألوفةً في المجتمع، وأخذوا يتحدّثون حول السّلوك والمقامات والأحوال والمعرفة والتّوحيد والفناء، وغيرها من المفردات المتداولة بين المتصوّفة.

والتّصوّف في هذه المرحلة نوعان: أحدهما: تصوّفٌ منضبطٌ بضوابط الكتاب والسّنّة، نابعٌ من منابع هاذين المصدرين الأصيلين، والمنهلين العذبين، وهذا هو التّصوّف الشّرعي المقبول المقيّد بتعاليم القرآن والسّنّة النّبوية، وثانيهما: تصوّفٌ فلسفيٌّ يبدأ من فكرة الفناء، وينتهي بالاتّحاد والحلول، وهذا النّوع مرفوضٌ(٢).

المبحث الثّالث: نشأت التّصوّف في كردستان :

الشّعب الكردي المسلم كغيره من شعوب المنطقة الّتي يعيش فيها اعتنق الإسلام اعتناقاً جميلاً ، وبعد اعتناقه للدّين الإسلامي، واستسلامه لهذه الشّريعة بالكامل كان متوقّعاً أن يصبح جزءاً من المنظومة العقدية والفكرية والمذهبية الّتي يعيش في قلبها، وبالتّالي كانت معتنقاً

(١) ينظر: التصوف الإسلامي (مفهومه، نشأته وتطوره، مصادره) ، د. عفاف مصباح بلق، مجلة كليات التربية، العدد الرابع عشر، يونيو ٢٠١٩م : ص١٩٨-١٩٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٩٨-١٩٩.

ومتجاوباً لجميع المذاهب والأفكار والمدارس والّتيارات الّتي انبثقت من قلب العالم الإسلامي، ومن ضمنه التّصوّف الإسلامي.

بعد أن رسّخ الإسلام أركانه في المنطقة، وبدأ المسلمون بالعمل والحركة والنّموّ المعرفي والعلمي والثّقافي، وكنتيجةٍ للحراك السّياسي والعلمي والمعرفي الّذي كان نشيطاً في العالم الإسلامي بدأت الصّراعات السّياسية تظهر، وبدأت المذاهب العلمية والمعرفية والفكرية تنشأ، وبدأت الّتيارات والجماعات المتنوّعة تتأسّس، وفي هذا الوضع الجديد لم يكن الكرد خارج الأسوار، بل كان جزءاً من الواقع المستحدث، ولذلك ظهر بين الكرد مثلهم مثل باقي الشّعوب الإسلامية الحركة السّنّية والشّيعية، وكذلك المذاهب الإسلامية الفقهية، والمدارس الفكرية والعقدية، وكذلك حركات التّصوّف الإسلامي، فظهر في الكرد التّصوّف بل امتاز الكرد بالتّمسّك الشّديد بالتّصوّف، وقبوله، والتّمسّك به تمسكاً قوياً تميّزه عن غيره من الشّعوب الإسلامية(١).

وأوّل ظهورٍ للتّصوّف ورموزه في كردستان يعود إلى القرن الثّالث الهجري، ولكن الانتشار الأوسع والكامل كان في حدود القرن الرّابع(٢)، وكان ذلك بالتّزامن مع تحوّل التّصوّف من مرحلة الزّهد الفرديّ إلى مرحلة النّضوج والنّشأة تحت مسمّى التّصوّف، وكذلك تكوّن ما بات يطلق عليه لاحقاً الطّرق الصّوفية.

وفي هذا المبحث سنتناول الحديث حول عوامل انتشار التّصوّف في كردستان، وأهمّ الطرق الصّوفية الموجودة في كردستان، وذلك من خلال المطلبين الآتية:

المطلب الأوّل: عوامل انتشار التّصوف في كردستان:

أوّلاً: العامل المذهبي:

من المعلوم . كما أوضحنا سابقاً. أنّ مسلك التّصوّف يقوم على الزّهد والورع وترك الدنيا، ومن هذا المنطلق فإنّ انتشار مذاهب الأئمّة المشهورين بالزّهد والورع والتّقوى في بلاد الكرد يعدّ عاملاً مساعداً على انتشار التّصوّف بين الشعب الكردي؛ لأنّ الأئمّة يُعتبَرون المثل العليا في كلّ شيءٍ، وأسوةً للّذين يقلّدونهم ويسيرون على خطاهم في الدّين والشّريعة والمسلك والعبادة،

---

(١) ينظر: الكرد في لرستان وشهرزور خلال العصر الوسيط، حسام الدين النقشبندي، مؤسسة ذين، السليمانية، ٢٠١١م: ص١١٧، والكرد دراسة سوسيولوجية وتاريخية، باسيلي نيكيتين، مؤسسة حمدي للطباعة والنشر، السليمانية، ط٣، ٢٠٠٧م: ص٣٠٨.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ت ١٩٨٥م: ٤٦٢/١، والكرد في لرستان وشهرزور: ص٣٤٣، والأكراد في بهدينان: (أنور المايي) ، مطبعة خبات، دهوك، ط٢، ١٩٩٨م: ص ٨٨.

وتشير المصادر التّاريخية إلى أنّه في القرن الرّابع الهجري كان مذهب الإمام الزّاهد سفيان الثّوري (ت١٦١هـ)(١) منتشراً وسائداً في مدينة (دينور) الواقعة في منطقة كردستان، وهذا العصر هو عصر انتشار التّصوّف بين الكرد، وكذلك عصر اشتهار دينور الواقعة قرب كرماشان بمدينة التّصوّف إلى جانب انتشار فقه ومذهب الإمام الثوري(٢).

ويذكر علماء التّراجم والتّاريخ الإسلامي أنّ سفيان الثوري كان مثالاً في الزّهد والورع والتّقوى، وكان مثالاً وقدوةً لشريحةٍ كبيرةٍ من المتصوّفة وإماماً لهم، وكان انتشار مذهب هذا الإمام في مدينة دينور منسجماً ومتوافقاً مع حركة التّصوّف، وينظر الكثير من الباحثين المهتمّين إلى مذهب هذا الإمام كعاملٍ أساسيّ لانتشار التّصوّف في هذه المدينة؛ لأنّه كان إماماً في الزّهد والورع والتّقوى وترك الدّنيا، والانصراف عن متعها وملذّاتها(٣).

وفي منطقة كردستان الّتي تسمّى في المصادر التّاريخية بإقليم الجبال(٤) تعرَّف الكثير من العلماء الكرد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وبعضهم أصبحوا رفاقاً وتلاميذ لهذا الإمام الكبير، وقد كان هذا الإمام مثالاً في الزّهد والورع والتّقوى، ويشهد العلماء بإمامته وجلالة قدره، واستمرّ أتباعه في منطقة كردستان على انتهاج مسلكه، وكان من بين هؤلاء الشّيخ جنيد البغدادي الّذي ينحدر أصله من مدينة نهاوند الشّهيرة، ويعدّ من كبار شيوخ التّصوّف، بل هو شيخ التّصوّف، حيث كان إماماً وقدوةً للصّوفية في بغداد، ومع ذلك كان يتبع مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفقه، ومن المتابعين لهذا المذهب(٥).

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري،ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى، وخرج من الكوفة، فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي، فاختفى عن الأنظار، وانتقل إلى البصرة، فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١هـ. ينظر ترجمته في: الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ،المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث–بيروت،١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م،(د. ط) : ١٧٤/١٥، والأعلام : ١٠٤/٣.

(٢) ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، دار صادر، بيروت: ١٢١/٢، والكرد في لرستان وشهرزور خلال العصر الوسيط: ص٣٤٣،ولة شةريعةتةوة بؤ حةقيقةت . ستةرهةلَداني سؤفيطةري لة ثانتايي كورديدا.د. حيدر لشكري: ص٩٠.

(٣) ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب: ١٢١/٢، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، محمد عبدالرحيم المناوي، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت: ٤٧/٤، ولة شةريعةتةوة بؤ حةقيقةت: ص٧٠-٧١.

(٤) ينظر: معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت: ٣٦/٣.

(٥) ينظر: الكواكب الدرية: ٤٧/٤، وعلمائنا في خدمة العلم والدين، عبدالكريم المدرس، اعتنى بنشره: محمد علي القرداغي، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م: ص١٤١،وطبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت: ٣٤٣/١.

وبالنّسبة لمذهب الإمام الشافعي الّذي يعدّ مذهب الغالبية العظمى من الشّعب الكردي فإنّ له تأثيراً كبيراً على انتشار التّصوّف بين الكرد، وذلك لأن الكثير من علماء المذهب الشافعي كانوا يتبعون مشارب التّصوّف، فبالإضافة إلى كون الإمام الشافعي نفسه كان من وراء التصوف الإسلامي(١)، ويعود الفضل في ذلك إلى الوزير نظام الملك السّلجوقي (ت٤٨٥هـ)، إذ كان هذا الوزير يعتنى كثيراً بالتّصوّف، ويقرّب الصّوفية إلى نفسه، ويصرف عليهم من أموال الدّولة كلّ ما يحتاجون إليه، ويعتنى كثيراً ببناء الخانقاوات(٢)والتّكايا(٣) (٤)، وقد قام الوزير ببناء خانقاه لشيخ شيوخ النيسابور أبو سعيد الصّوفي النيسابوري (ت٤٧٩هـ) بجانب مدرسة النّظامية الشّهيرة في بغداد، وليس هذا فحسب، بل كان الوزير مريداً لهذا الشّيخ، ولا شكّ أنّ عناية نظام الملك بالتّصوّف والصّوفية كان له أثرٌ كبير في تلاميذ تلك المدرسة الّتي انتشرت فروعها في جميع بلدان العالم الإسلامي ومن ضمنها المنطقة الكردية، إضافةً إلى ذلك، فقد كان يدرس في تلك المدرسة نسبةٌ كبيرةٌ من التّلاميذ الكرد، وفي المراحل اللّاحقة أصبحت مدرسة النّظامية مكاناً لتدريس العلوم والإرشاد والتّصوّف معاً، ومن أشهر العلماء الّذين قاموا بدمج التّدريس والتّصوّف معاً في المدرسة هو الشّيخ السّهروردي (ت٥٦٣هـ) الّذي يعود أصله إلى إقليم الجبال الكردي،

---

(١) ينظر: ئيمامي شافعي وپيرەوكردنى لە رێبازى ئەهل تصوف ، د. حسن خالد المفتي،ط١: ص١٦.

(٢) الخوانق جمع، ومفردها خانقاه، ويجمع على خوانق وخانقاوات أيضاً، وأحياناً يطلق عليها الخوانك، وقد تكلم الكثير من أهل العلم واللغة حول أصل هذه الكلمة ومعناها وتأريخها، وقد اتفق الجميع على أن أصل هذه الكلمة فارسية، ومعناها الدقيق هو بيت العلم ومكان العبادة.ينظر: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ، ١/٢٠٤. ١/٢٠٤.

(٣) جاء في "المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية": "التكايا عربية، ومفردها تكيّة، وهي: مكان اجتماع الصوفية لإقامة الأذكار والصلوات، كما كانت مقراً لتوزيع الطعام على الفقراء، وإقامة الغرباء بشكل مؤقت" ينظر: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، د. حسن حلاق، د. عباس صباغ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م: ص٥٥.

وجاء في "المعجم الوسيط" بأن التكية كلمة تركية، وهي: "رباط الصوفية". ينظر: المعجم الوسيط: قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية، إستانبول، ط١، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م: ١/٨٦.

(٤) ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥: ١/٣٥٣،و متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري، عمر سليم عبدالقادر التل، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م: ص٢٩.

فقد كان شيخ التّصوّف وإمام الصّوفية في بغداد، وإماماً للمدرسة النّظامية[١]، وكذلك فخر الإسلام أبو بكر الشّاشي الميافارقيني[٢] الّذي كان صوفياً أشعرياً، ورئيساً للشّافعية في بغداد، ومدرّساً في النّظامية[٣].

ثانياً: العامل السّياسي والاجتماعي:

التّصوّف انتشر في كردستان في حدود القرن الرّابع الهجري، وكان هذا الانتشار متزامناً مع نشأة الحكم العائلي الوراثي في المنطقة، وفي نفس الوقت، كان هذا العصر عصر التّزهّد في الدّنيا، والرّجوع إلى التّنسّك، وعبادة الله تعالى للتّخلّص من تبعات الحياة المادّية والتّرف والرّفاهية الّتي استولت على المجتمع الإسلامي في ذاك الوقت، وعلى وجه الخصوص تلك الحياة المترفة الّتي كان الملوك والحكام يعيشونها، بينما كان الشّعب غالبا يعيش عيش الفقر والحاجة، وهذا الوضع لم يكن خاصّاً بمنطقة كردستان، بل كان وضعاً عاماً منتشراً ومستولياً على جميع ربوع المجتمع الإسلامي، إذ كان النّاس يلجؤون إلى التّصوّف والتّزهّد للهروب من تبعات الحياة المادية الّتي أرهقتهم، وكان الكرد يتبعون هذا المسلك أكثر من الأمم الأخرى[٤].

وفي المصادر التّاريخية أقوالٌ وحكاياتٌ كثيرةٌ حول تأثير الوضع الاجتماعي والحالة السّياسية على تطوّر التّصوّف وانتشاره في المجتمع الإسلامي عامّةً والمجتمع الكردي بصورةٍ خاصّةٍ، حيث تشير المصادر إلى أنّ الكثير من المجرمين، وقطّاع الطّرق، واللّصوص عندما يستيقظون من غفلتهم، وينتبهون إلى كبر جرمهم وأعمالهم الخطيرة، كانوا يلجؤون إلى حياة الزّهد والانصراف عن الدّنيا، والابتعاد عن المجتمع؛ للتّخلّص من ماضيهم، وحياتهم الغابرة المليئة

(١) ينظر: علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي، ناجي معروف، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣م: ص ٧٦-٧٦، ١٨٧-١٩٨،ومتصوفة بغداد: ص ٢٩، والأكراد وبلادهم، المقدم شيخ عبدالوحيد، دار آراس، أربيل، ط٢، ٢٠١١م: ص٥٠.

(٢) محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو بكر الشاشي القفال الفارقيّ، الملقب فخر الإسلام، المستظهري: رئيس الشافعية بالعراق في عصره. ولد بميافارقين سنة ٤٢٩ هـ، ورحل إلى بغداد فتولى فيها التدريس بالمدرسة النظامية (سنة ٥٠٤) واستمر إلى أن توفي سنة٥٠٧ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي: ٥/ ٣١٦.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبدالحليم خان، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ: ٣٢٣/١.

(٤) ينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، تعريب: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨م: ص ٢١٢،والكرد في لرستان وشهرزور: ص٣٤٣، والأكراد في بهدينان: ص٨٨،والأكراد وبلادهم: ص٣٥٥.

بالآثام والذنوب والخطايا، ومن أشهر هؤلاء هو الشّيخ أبو بكر البطائحي[١] الّذي كان له أتباعٌ كثيرون، وكذلك تلميذه الشّيخ محمد الشنبكي الكردي[٢] الّذي أصبح من كبار الصّوفية، وواحداً من كبار قاماتهم في بغداد بعد أن كان من قطّاع الطّرق، فقد كان لهذين الشّخصيتين أتباعٌ كثيرون، وكان لهما تأثيرٌ كبيرٌ على المجتمع الّذي يعيشان فيه، وعلى وجه الخصوص بعد إظهار توبتهم ورجوعهم إلى الله تعالى، إذ ظهر على أيديهما كراماتٌ وخوارق كثيرةٌ[٣].

ثالثاً: العامل اللّغوي:

إضافةً إلى هذين العاملين الأساسين لانتشار التّصوّف في كردستان وبين الشّعب الكردي بشكل واسع، يمكننا أن نضيف إليهما سبباً آخر، وهو: أنّ الشعب الكردي كان يجد صعوبةً كبيرةً في فهم الدّين الإسلامي، وتعاليم شريعته الغرّاء نظراً لاختلاف لغة هذا الشّعب عن لغة القرآن والشّريعة الإسلامية، وقلّة المدارس الإسلامية، وابتعادهم عن مركز الخلافة، وتواجدهم في رقعةٍ جغرافيةٍ تطلّ على ثقافاتٍ متعدّدةٍ، وهو ما جعل الكرد يبحثون عمّا يعوّضهم عن ذلك، فوجدوا ضالّتهم برجال التّصوّف، فانتشرت فيهم الطّرق الصّوفية لكونها تسهّل العلاقة بين العبد وربّه، إذ لا يتطلّب ذلك إلّا الزّهد والعبادة، ويكون بالاتّصال مع شيخ الطّريقة الصّوفية، فركن الكرد إلى التّصوّف ركوناً كبيراً، وأطاعوا شيوخها[٤]، فاحتلّ شيوخ الطّرق الصّوفية مكانةً مرموقةً في الحياة اليومية الكردية، إذ تجد الكرد يميلون إلى توقير شيوخ التّصوّف، ويجلونهم كثيراً، ويمتثلون

(١) أبو بكر بن هوار البطائحي، يقول محمد التاذفي في وصفه: كان عظيم القدر، كبير الشأن، وإليه ينتمي أعيان مشايخ العراق، وهو اول من أسس المشيخة بالعراق بعد انقراض مشايخ الرسالة، وتلمذ له خلق لا يحصون من أرباب المقامات الرفيعة وانعقد عليه الاجماع من المشايخ والعلماء بالتبجيل والتعظيم والرجوع إلى قوله، وهو القائل: من زارني أربعين أربعاء أوتي في آخرها براءة من النار، كان حياً في القرن السادس الهجري. ينظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: ١/١٢١.

(٢) أبو محمد الشنبكي، يقول الشعراني في وصفه: انتهت إليه رئاسة الصوفية في وقته، وتخرج به السالكون، مثل الشيخ أبي الوفاء، كان شريف الاخلاق، كامل الأدب، وكان في بدايته يقطع الطريق ثم تاب على يد أبي بكر بن هوار البطائحي، وتنسب إليه أقوال كثيرة في الحث على الزهد والطاعة. ينظر ترجمته في: لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، أبو محمد الشعراني، مكتبة محمد المليجي، مصر، ١٣١٥هـ: ١/١١٣.

(٣) ينظر: جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٤١١هـ. ١٩٩١م: ١/٤٢٤، ولوافح الأنوار في طبقات الأخيار: ١/١١٣، ومتصوفة بغداد: ص٦٩.

(٤) ينظر: الكرد: ص١١٧، وخلفاء مولانا خالد، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي الكردي، عباس العزاوي، الجزء الثاني، سنة ١٩٧٤م: ص١٩٨.

لأوامرهم، ولذلك حرصت بعض الأسر الكردية على تولّي مشيخة الطّرق الصّوفية، مثل الطّريقة النّقشبنديّة الّتي تبنّتها عائلة البارزاني(١)، الّتي تتقلّد اليوم حكم إقليم كردستان لما لها من مكانةٍ عشائريةٍ كبيرة (٢).

المطلب الثّاني: طرق التّصوّف في كردستان:

الطّرق جمع طريقةٍ، وهي في اللّغة: الأسلوب، والمسلك، والمذهب(٣).

وفي اصطلاح أهل التّصوّف تعرّف بأنّها: "الأسلوب الخاص الّذي يعيش الصّوفي بمقتضاه في ظلّ جماعةٍ من جماعات الصّوفية تابعةٍ لأحد كبار المشايخ، أو هي: مجموعة التّعاليم والآداب والتّقاليد الّتي تختصّ بها جماعةٌ من هذه الجماعات"(٤).

والطّرق الصّوفية كثيرةٌ ومتعدّدةٌ(٥)، وأكثرها انتشاراً بين الكرد هما الطّريقة القادرية، والطريقة النّقشبندية:

الأولى: الطريقة القادرية: وهذه الطّريقة من أشهر الطّرق الصّوفية المنتشرة في العالم الإسلامي، وتنتسب إلى الإمام الجليل، والعالم الزاهد العارف، شيخ الإسلام، أبي محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله، عبد القادر الجيلاني المتوفّى سنة (٥٦١هـ)، الحنبلي المذهب، وقد تفقّه على يدي هذا العالم العديدُ من مشايخ بغداد، وأوّل جلوسٍ له في بغداد للوعظ والإرشاد كان سنة ٥٢٠هـ، فأصبح ذا مكانةٍ مقبولةٍ لدى عامّة النّاس الّذين كانوا يجلسون في مواعظه، وانتفعوا بنصائحه وتوجيهاته ومواعظه انتفاعاً كبيراً، وقد كان الشّيخ عبدالقادر مشهوراً بالعلم والفقه والفهم الصّحيح للدّين والشّريعة، وألّف العديد من الكتب، مثل:"الغنية لطالب طريق الحق"، و"الفتح الرباني"، و"فتوح الغيب"، و"الفيوضات الرّبانية"، وظهرت على يديه كراماتٌ وخوارق

---

(١) المقصود من العائلة البارزاني هوالزعيم ملا مصطفى محمد عبد السلام عبد الله البارزاني١٩٠٣م – ١٩٧٩م.

(٢) ينظر: الكرد: ص١١٨.

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. د. أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م: ١٣٩٨/٢.

(٤) التصوف الثورة الروحية في الإسلام، أبو العلا عفيفي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٠م: ص١١٥.

(٥) ينظر: الموسوعة الكسنزانية، الشيخ محمد الكسنزاني، دار المحبة، ديمشق – بيروت، ٢٠٠٥م: ١٣٥/١٤ ، ومعالم التصوف الإسلامي، د.حامد طاهر، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م: ص١٦٧،والموسوعة الصوفية، د.عبدالمنعم الحفني، دار الرشيد، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م: ص٥٥، والطرق الصوفية: نشأتها وعقائدها وآثارها، د. عبدالله بن دجين السهلي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م: ص٨٣ .

كثيرةٌ، وتاب على يديه العديد من النّاس، حدّث عنه: أبو المظفر السمعاني (ت٤٨٩هـ)(١)، والشيخ موفق الدّين ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)(٢)، وغيرهم، وتوفّي سنة(٥٦١هـ) في بغداد، ودفن إلى جوار مدرسته(٣).

وتشير المصادر التّأريخية إلى أنّ هذه الطّريقة بدأت تنتشر في كردستان، وتستقطب لها أتباعاً في حدود القرن السّابع الهجري، واستمرت في الانتشار والتّوسّع داخل المجتمع الكردستاني حتى وصلت إلى أوج انتشارها في القرن الثّاني والثّالث عشر(٤)،ومن العوائل التي كانت تتبع هذه الطريقة: في عائلة الطالباني رئيس الجمهورية العراق الأسبق (٥) .

والطّريقة القادرية من أكثر طرق التّصوّف انتشاراً في العالم الإسلامي، ولها فروعٌ وأتباعٌ في بلدان الشّرق الأوسط وأفريقيا، وتتفرّع عنها كثيرٌ من الطّرق الأخرى، ومن أشهر فروعها في كردستان هي: الطّريقة الكسنزانية، والطّريقة البريفكانية، والكسنزانية لها أتباعٌ كثيرون في محافظتي كركوك والسّليمانية، وشيخها الحالي هو (الشّيخ نهرو بن محمد بن عبد الكريم الكسنزاني)، وتنتسب الطّريقة إلى الشّيخ المؤسّس عبدالكريم الكسنزاني(ت٢٠٢٠م)في كردستان العراق، وكان ينتسب إلى هذه الطّريقة عددٌ من المسؤولين العراقيين السّابقين(٦).

---

(١) منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي، ولد سنة ٤٢٦هـ، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وتوفي بمرو في سنة ٤٨٩هـ، ومن مؤلفاته: منهاج أهل السنة، القواطع في اصول الفقه، الانتصار في الحديث. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ١١٤/١٩.

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، الحنبلي،ولد في نابلس سنة ٥٤١هـ، وارتحل إلى بغداد، ثم رجع إلى دمشق وتوفي بها سنة ٦٢٠هـ، ودفن في سفح قاسيون، وله مؤلفات كثيرة، ومنها: البرهان في علوم القرآن، المغني في شرح الخرقي، الروضة في الأصول. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ١٦٥/٢٢.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤٤٠/٢٠، لوافح الأنوار في طبقات الأخيار: ١٠٨/١.

(٤) محمد بن عبد الله الجلي وجهوده الدعوية، د.جواد فقي علي حيدري، طبعة وزارة التربية أربيل لسنة ٢٠٠٦م : ص ٥٣.

(٥) أي عائلة رئيس العراق السابق جلال حسام الدين نور الله نوري الطالباني (١٩٣٣م – ٢٠١٧م) .

(٦) ينظر: الكرد دراسة سوسيولوجية: ص ٣١٢، والموسوعة الكسنزانية: ١٣٥/١٤ .

الثانية: الطّريقة النّقشبندية [(١)]: وتنتسب هذه الطّريقة إلى الشّيخ العارف بالله بهاء الدّين محمد بن محمد البخاري النّقشبندي المتوفّى سنة (٧٩١هـ)، والمعروف بشاه نقشبند[(٢)].

وتأتي هذه الطّريقة بعد القادرية من حيث النّشأة، وكثرة الأتباع، ولكن في كردستان أتباعها أكثر من القادرية، حيث تحتلّ مكانةً رفيعةً بين الشّعب الكردي، ويتبعها الغالبية من الصّوفية الكرد وعلمائهم، ومن أبرز من ينتسب إليها من العوائل السياسية بين الكرد في العصر الحديث عائلة البارزاني الّتي تتمسّك بمقاليد الحكم في كردستان[(٣)].

وتؤكّد المصادر التّأريخية على أنّ الطّريقة النّقشبندية وصلت إلى كردستان وانتشرت في ربوعها عن طريق (الشّيخ مولانا خالد النّقشبندي)[(٤)]المعروف بذي الجناحين، والّذي يعدّ من أشهر خلفاء (غلام علي الدهلوي)[(٥)] شيخ النّقشبندية في عصره، ويعود ذلك إلى أوائل القرن الثّاني عشر الهجري، حيث تتلمَّذ مولانا خالد على يد الدّهلوي، وأخذ منه الإرشاد والطّريقة، ثمّ رجع إلى كردستان، وعلى وجه الخصوص منطقة شهرزور، ومن هذه المنطقة بدأ بالدّعوة إلى الطّريقة الجديدة، فانتشرت بسرعةٍ في جميع نواحي بلاد الأكراد من شرقها إلى غربها.

وبالنّسبة لسيرة مولانا خالد النّقشبندي: فقد ورد في المصادر التّأريخية بأنّه ولد في منطقة قرداغ سنة (١١٩٣هـ)، وقد بدأ منذ طفولته بدراسة العلوم الشّرعية في قريته، ومن أجل المزيد من العلم والمعرفة رحل إلى العديد من قرى وقصبات كردستان؛ لأخذ العلوم الشّرعية عند أفضل

---

(١) ترجع كلمة نقشبندي إلى مقطعين هما "نقش بند" وهي كلمة أصلها فارسي ومعناها: ربط النقش، والنقش هو صورة الطابع إذا طُبع به على شمع ونحوه، وربطه بقاؤه من غير محو، أوهو صورة الكمال الحقيقي بقلب المريد.ينظر: الحديقة الندية في أداب الطريقة النقشبندية، محمد بن سليمان البغدادي ،المطبعة العلمية بمصر ١٣١٠هـ: ص٢١.

(٢) ينظر ترجمته في: سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ٣/٢٥٢، والطريقة النقشبندية وأعلامها، د. محمد أحمد درنيقة، جروس برس، طرابلس ـ لبنان، ط١، ١٩٩٢م.: ص ١٨.

(٣) ينظر: الطريقة النقشبندية: ص ٥.

(٤) هو خالد بن أحمد بن حسين بن علي بن عبدالله بن حسين بن طه الشهرزوري ولد سنة ١١٩٠ م- ١٧٧٦ هـ فى فى قصبة قره داغ من أعمال الشهرزور السليمانية ،وتوفي سنة ١٢٤٢هـ- ١٨٢٧ م ويدفن في جبل قاسيون بدمشق ،ينظر: مناقب شمس الشموس در حق حضرت موالنا خالد العروس، حسن شكري، مطبعة محمود بك، درسعادت ١٣٠٢: ص ٥.

(٥) عبدالله الدهلوي: شاه عبدالله الملقب بـ شاه غلام علي بن شاه عبداللطيف الدهلوي، من كبار شيوخ التصوف في الهند، ولد في سنة ١١٥٦هـ ، وتوفي في سنة ١٢٤٠هـ، ودفن بجانب قبر شيخه في خانقا ميرجا في دلهي، ينظر ترجمته في: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي ،حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار - من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت ،ط٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م: ص ٩٢٧.

الأساتذة في عصره، وفضلاً عن شغفه بالعلوم، فقد كان لمولانا حبٌّ كبيرٌ للشّعر العرفاني، وبسبب علوّ همّته في هذا المجال تمّ انتدابه ودعوته من قبل حكّام إمارة بابان[١] إلى مدينة السّليمانية مركز الإمارة، ولكن مولانا يعتذر لهذه الدّعوة، ويسافر إلى مدينة "سنة" [٢]في كردستان إيران لمواصلة مسيرته التّعليمية، وهناك يتعلّم الرّياضيات وعلم النّجوم، فضلاً عن العلوم الشّرعية الأخرى، ثمّ يحصل على الإجازة العلمية على يد الشيخ محمد قسيم السّنندجي (ت١٢٣٤هـ)[٣]، ثمّ يرجع إلى مدينته السّليمانية، وبعد وفاة الشّيخ عبدالكريم بن الشّيخ قاسم البرزنجي (١٢١٣هـ)[٤] استخلفه في الإمامة والتّدريس، واشتغل بتدريس العلوم الشّرعية [٥].

وفي سنة (١٢٢٠هـ)يقوم مولانا خالد بزيارة بيت الله الحرام؛ لأداء مناسك الحج، وفي هذه الرّحلة يتعرَّف على الكثير من المشايخ الأجلّاء، والعلماء البارزين، وكذلك يتعرّف على عابدٍ وصوفيّ هنديّ اسمه "ميرزا رحيم عزيم آبادي [٦]" كان من أتباع الطّريقة النّقشبندية، ومن مريدي مريدي الشّيخ عبدالله الدّهلوي، وأصبح هذا اللّقاء نافذةً للتّعرّف على الشّيخ الدّهلوي، فاشتاق

---

(١) البابانيون كانوا أصحاب الإمارة الكردية التي عرفت بإمارة بابان (١٦٤٩ م– ١٨٥١م) وتشير بعض المصادر إن أصولهم ترجع إلى القبائل الكردية التي كانت تقطن منطقة بَشْدَرْ في شمال العراق وإن رئيس القبيلة أحمد الفقيه استلم لقب «بَهْ بَهْ» أو «بابان» من السلطان العثماني، مكافئة لصراعهم مع الصفويين .مثل بقية الإمارات الكردية كانت حدود الإمارة ومدى استقلاليتها تتغير حسب التحالفات والضغوط الخارجية والصراعات الداخلية .
في عام(١٧٨٣م أو ١٧٨١م) بنى البابانيون مدينة السليمانية، وإتخذوها عاصمة لهم. وكانت علاقة هذه الإمارة متوترة مع الإمارات الكردية الأخرى مثل إمارة سوران وإمارة بوتان بالإضافة إلى صراعهم مع الدولة العثمانية والقاجار الإيرانيين.ينظر: https: //ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/٢/٧.

(٢) سنة (بالكردية: سنه، Sine) هي عاصمة محافظة كردستان، إيران. يبلغ عدد سكانها ٤١٤,٠٦٩ نسمة، تعتبر ثالث أكبر عشرين مدينة في إيران وثاني أكبر مدينة كُرديّة. تأسيس المدينة يعود إلى حد ما إلى حوالي ٢٥٠ عامًا، ولكن في ظل وجوده القصير، نما ليصبح مركزًا للثقافة الكردية. اللغة المتحدثة في المدينة هي الكُرديّة، لكن اللغة المستخدمة في المدارس والمكاتب هي الفارسية. ينظر: https: //ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/٢/٧.

(٣) محمد ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمود، المعروف بالشيخ محمد قسيم، ولد في مدينة سنة عام ١١٣٤هـ، وتوفي في سنة عام ١٢٣٤هـ. ينظر ترجمته في: علمائنا في خدمة العلم والدين: ٤٣٥/٢.

(٤) الشيخ عبدالكريم ابن الشيخ قاسم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ بايزيد ابن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ بابا رسول البرزنجي،تخرج على يده جماعة من الفضلاء، ودرس عنده في مدرسة البيارة الشيخ مولانا خالد النقشبندي، وتوفي بالطاعون سنة ١٢١٣هـ. ينظر ترجمته في: علمائنا في خدمة العلم والدين: ٣٢١/٢.

(٥) ينظر: دور التصوف في نشر الدعوة . محافظة السليمانية أنموذجاً، صباح عبدالرحمن أحمد، رسالة ماجستير ماجستير في كلية الإمام الأعظم الجامعة . بغداد، سنة ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م: ص٢١٤.

(٦) بعد البحث وتقصي لم أعثر على ترجمته.

مولانا لزيارة هذا الشّيخ الجليل، وبالتّالي يقرّر التّرحال إلى الهند لملاقاته والتتلّمذ بين يديه، وفي طريقه إلى الهند يقوم بزيارة مرقد العابد والصّوفي الجليل أبويزيد البسطامي (ت٢٦١هـ)، وعبدالرحمن الجامي (ت٨٩٨هـ)، وفي سنة (١٢٢٤هـ) بعد سنةٍ ونصفٍ من السّير والتّرحال بين أشهر المدن الّتي تقع على طريقه، يصل إلى الهند، ويلتقي بالشّيخ عبدالله الدهلوي، ويبقى عنده سنةً ونصف سنةٍ، يتلقّى النّصح والإرشاد والطّريقة، وبعد اجتياز كلّ مراحل التّصوّف يمنحه الشّيخ الدّهلوي إجازة الدّعوة والإرشاد للطّريقة النّقشبندية، وفي سنة (١٢٢٦هـ) وبأمرٍ من شيخه الدّهلوي يرجع إلى السّليمانية، ويُستقبل بحفاوةٍ كبيرةٍ من الجميع، وبعد استراحةٍ قصيرةٍ، يتوجّه إلى بغداد، ويمكث في الحضرة الجيلانية قرابة خمسة أشهرٍ، ثمّ يرجع إلى السّليمانية، ويبدأ بالدّعوة والإرشاد إلى الطّريقة النّقشبندية، وفي سنة (١٢٢٨هـ) للمرّة الثّانية يسافر مولانا إلى بغداد، وبعد عدّة سنواتٍ يرجع مرّةً أخرى إلى السّليمانية، وبعد قضاء ست سنواتٍ ونتيجةً للمشاكل الدّاخلية الّتي كانت مشتعلةً بين حكّام إمارة بابان، يغادر السليمانية للمرّة الثّالثة إلى بغداد، وبعد سنتين من البقاء في بغداد، يرحل إلى الشّام، ويصل دمشق في (١٢٣٦هـ)، ثمّ يسافر إلى القدس، ويلتقي هناك بالكثير من العلماء الأجلّاء، ويجتمع حوله الكثير من الأتباع والمريدين، ثمّ يعود إلى دمشق، ويشتغل بالتّدريس والدّعوة والإرشاد، وفي يوم الجمعة ١١ من شهر ذي الحجّة سنة (١٢٤٢هـ) يصيبه الطّاعون، وبعد أسبوعٍ من إصابته بهذا المرض، يدركه الموت، ويتوفّى، ويدفن في جبل قاسيون بدمشق(١).

وقد كان لمولانا خالد خلفاء كثيرون أجازهم إجازة القيام بالدّعوة، والإرشاد، ونشر العلم، وتعليم النّاس، وتحدّث ملا عبد الكريم المدرّس(٢)حول خلفائه الكرد وغير الكرد، فمن غير الكرد سرد أسماء (٣٣) خليفةً، بينما تحدّث حول (٣٤)خليفةً من خلفائه الكرد من مختلف مناطق كردستان، ومن أشهرهم في كردستان: الشّيخ عثمان سراج الدين الطّويلَيي (ت١٢٨٣هـ)، والشّيخ

---

(١) للوقوف على تفاصيل هذه الترجمة ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: ٥٧٠،و يادي مةردان، ملا عبدالكريم المدرس، ١٩٧٩م، مطبعة ئاراس، أربيل، ط٢، ٢٠١١م: ٥/١، وله: علمائنا في خدمة العلم والدين : ١٨٥/١، ومةولانا خاليد تةريقةتي نةقشبةندي، سيد محمد سيد طاهر الهاشمي، ترجمة من الفارسية: دلێر ميرزا، مطبعة قانع، السليمانية، ط١، ٢٠٠٤م.: ص٣٢، ودور التصوف في نشر الدعوة: ص ٢٠٤.

(٢) هو . كما ترجم لنفسه : عبد الكريم بن مُحَمَّد بن فتاح بن مصطفى بن سليمان بن مُحَمَّد الكردي الشهرزوري ، عشيرة (هوز قاضي) القاطنة في مركز ناحية شهرزور بمنطقة سيد صادق،ولد في محافظة السليمانية سنة ١٩٠٥م وتوفي في بغداد سنة ٢٠٠٥.ينظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين: ص ٩٩ .

إسماعيل البرزنجي الكُنَكُوتْري (ت١٢٧٩هـ)،والشّيخ يحيى بن خالد المزوري (ت١٢٥٠هـ)، والشّيخ عبدالرحمن العقراوي (ت١٢٥٠هـ)[١].

المبحث الرّابع: الأفكار العامّة للتّصوّف الإسلامي :

الفكر الصّوفي، منذ نشأته ولغاية نهاية القرن الثّاني الهجري، كان يعتمد على الانغماس في العبادة، والزّهد، ومجاهدة النّفس، والانصراف عن الدّنيا، وكان طريقةً عمليةً تعتمد على التّجربة الفردية لكلّ من ينخرط فيها، والمصدر الّذي كان الصّوفية يستمدون منه مبادئهم ومنهجهم في هذه المرحلة كان مصدراً إسلامياً بحتاً، ويتمثّل في الكتاب الكريم، والسّنّة النّبوية المشرّفة، وسيرة السّلف الصّالح، ولكن ابتداءً من القرن الثّالث الهجري حدث تحوّلٌ في التّصوّف الإسلامي، وأصبح علماً من العلوم الحادثة في الملّة كما يقول عبدالرحمن ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) [٢]، وبالتّالي شرع أهل التّصوّف في تأليف المصنّفات الخاصّة بهم حتى أصبح علماً ذا مكانةٍ داخل المجتمع، وانضمّ إلى سلسلة العلوم الإسلامية الأخرى من الفقه وأصول الفقه، والتّفسير، والحديث، والعقيدة، والكلام، وعلوم اللّغة، وغيرها.

وفي هذا المطلب سنبحث في الأفكار الرّئيسية الّتي يقوم عليها فكر التّصوّف الإسلامي مع الإشارة إلى الشّيخ الّذي جاء بكلّ فكرةٍ من هذه الأفكار، وذلك من خلال الفروع الآتية:

المطلب الأوّل: الزّهد:

الزّهد أوّل ركيزةٍ من ركائز التّصوّف، وقد قدمنا القول فيها سابقاً، وقلنا بأنّ التّصوّف بدأ بالزّهد؛ ولذلك لا يخلو كتابٌ من كتب التّصوّف من التّطرّق إلى هذه الرّكيزة الجوهرية في فكر التّصوّف، وقد أفاض علماء التّصوّف في تعريفه، وبيان ماهيته، وأهميته في حياة العابد والصّوفي، كما واختلفوا في تعريفه اختلافاً كبيراً، فعرفوا الزّهد بتعريفاتٍ غزيرةٍ، ولكن أبا حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) يرجع كلّ تلك التّعريفات إلى أصلٍ واحدٍ وهو: "انصراف الرّغبة عن الشّيء إلى ما هو خيرٌ منه"[٣]، وهو يشمل مستويين: الأوّل: العدول عن الدّنيا إلى الآخرة، والثّاني: العدول عن كلّ ما سوى الله إلى الله تعالى، وهو الأعلى[٤].

---

(١) ينظر: يادي مەردان: ١/٦٦ ، ودور التصوف في نشر الدعوة: ص٢١٦.

(٢) ينظر: ابن خلدون، المقدمة: ص ٦١٣.

(٣) أحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت: ٤/٢١٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤/٢١٦.

ويعدّ الزّهد من أهمّ مقامات التّصوّف الإسلامي المبنيّ على الكتاب والسّنّة، فهو "أساس الأحوال الرّضية، والمراتب السّنية، وهو أوّل قدم القاصدين إلى الله عزّ وجلّ، و المنقطعين إلى الله تعالى، والرّاضين عن الله، والمتوكّلين على الله تعالى، فمن لم يحكم أساسه في الزّهد لن يصبح له شيءٌ ممّا بعده، ولأنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئةٍ، والزّهد في الدّنيا رأس كلّ خيرٍ وطاعةٍ"(١).

وللزّهد من حيث قوّته وضعفه ثلاث درجاتٍ: أدناها أن يزهد في الدّنيا، وهو يشتهيها، وقلبه مائلٌ إليها، ونفسه ملتفةٌ لها، لكنّه يجاهدها ويكفّها.

وأوسطها: أن يترك الدّنيا طوعاً؛ لاستحقاره إياها، بالإضافة إلى ما طمع فيه، كمن يترك درهماً من أجل درهمين، وإن كان يحتاج لانتظارٍ قليلٍ.

وأعلاها: أن يزهد طوعاً، ويزهد في زهده، فلا يرى زهده، إذ لا يرى أنّه ترك شيئاً، إذ عرف أنّ الدّنيا لا شيء.. وهذا هو الكمال في الزّهد، وسببه كمال المعرفة(٢).

المطلب الثّاني: مجاهدة النّفس:

مجاهدة النّفس ركيزةٌ مهمةٌ من ركائز بنيان التّصوّف الإسلامي إمتثالا لقوله تعالى چ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ (٣)، فالصّوفيّ الحقيقيّ هو الّذي يواجه النّفس بالمجاهدة لكي يخضعها، ويجعلها تحت سلطته، بحيث يكون هو الآمر عليها، وليس هي الآمر عليه، والنّفس عند علماء التّصوّف ينقسم إلى ثلاثة أقسامٍ، واحدةٌ منها شريرةٌ، يجب على المسلم أن يجاهد معها

(١) اللمع: ص ٤٦.

(٢) ينظر: اللمع: ٤٦، وأحياء علوم الدين: ٤/٢١٧، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م: ٢/١٩.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

كي يؤدّبها، ويجعلها تحت سلطته الذّاتية، والاثنتان الأخريان ليستا بشريرةٍ[١]، ويعرّف الإمام عبد الرزاق الكاشاني (ت٧٣٥هـ)[٢] كلّ واحدةٍ من هذه الأنفس الثّلاثة على الشّكل الآتي:

الأولى: النّفس الأمّارة بالسّوء: وهي الّتي تميل إلى الطّبيعة البدنية، وتأمر باللّذات والشّهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السّفلية، فهي مأوى الشّرّ، ومنبع الأخلاق الذّميمة، والأفعال السّيّئة، قال الله تعالى: [إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ][٣].

الثّانية: النّفس اللّوّامة: وهي الّتي تنوّرت بنور القلب تنوراً قدر ما تنبّهت به من سنّة الغفلة، فتيقّظت، وبدأت بإصلاح حالها، متردّدةً بين جهتي الرّبوبية والخلقية، فكلّما صدرت منها سيّئةٌ بحكم جبلّتها الظّلمانية تداركها نور التّنبيه الإلهي، فأخذت تلوم نفسها، وتتوب عنها، مستغفرةً، راجعةً إلى باب الغفّار الرّحيم، ولهذا نوّه الله بذكرها بالحلف والإقسام بها في قوله تعالى: [وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ][٤].

الثّالثة: النّفس المطمئنّة: وهي الّتي تمّ نورها بنور القلب، حتى انخلعت عن صفاتها الذّميمة، وتخلّقت بالأخلاق الحميدة، وتوجّهت إلى جهة القلب بالكلّية، متابعةً له في التّرقّي إلى جانب عالم القدس، متنزهةً عن جانب الرّجس، مواظبةً على الطّاعات، مساكنةً إلى حضرة رفيع الدّرجات، حتى خاطبها ربّها بقوله جلّ شأنه: [يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً][٥] [٦].

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، ط٢: ص ٢٣٠، شرح منازل السائرين، كمال الدين الكاشاني، تحقيق: محسن بيدارفر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت: ص ٤٨٠ ،والتعريفات: ص ٢٤٣، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من المؤلفين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.: ٧٥/١، وتزكية النفوس، أحمد فريد، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: ص ٦٦.

(٢) عبد الرزاق بن أحمد ابن أبي الغنائم محمد، كمال الدين، الكاشي أو الكاشاني أو القاشاني، مفسر، من أعلام علماء التصوف في القرن الثامن الهجري، ومن كتبه: السراج الوهاج في تفسير القرآن، وشرح منازل السائرين للهروي، وشرح فصوص الحكم لابن عربي، وتوفي سنة ٧٣٠هـ. ينظر ترجمته في: الأعلام : ٣٥٠/٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٥.

(٤) سورة القيامة، الآية: ٢.

(٥) سورة الفجر، الآية: ٢٧-٢٨.

(٦) ينظر: شرح منازل السائرين: ص٤٨٠ وما بعدها.

المطلب الثّالث: المعرفة:

قبل القرن الثّالث الهجري كان التّصوّف عبارةً عن الزّهد، والتّعبّد، والتّنسّك، ومجاهدة النّفس، ولكن بعد ذلك دخل التّصوّف في مرحلةٍ أخرى، وأتى عليه التّطوّر في كثيرٍ من الجوانب والنّواحي، فكان من ضمن ما حدث هو نشأة فكرة المعرفة، حيث يرجع بدايات نشأتها إلى بداية القرن الثّالث الهجري(١)، حيث يعتقد الصّوفية أنّ شرف الإنسان وتفوّقه على سائر المخلوقات منوطٌ باستعداده لمعرفة الله تعالى، ولذلك يعدّ موضوع المعرفة أو العرفان من أهمّ مسائل الصّوفية، بل هو الهدف الأصلي، والغرض الأصلي للتّصوّف(٢).

وأبرز من تكلّم حول هذه الفكرة بصورةٍ تامّةٍ وكاملةٍ هو ذو النّون المصري (ت٢٤٥هـ)، حيث يعدّ هذا العَلم رائد نظرية المعرفة في التّصوّف الإسلامي، وذهب إلى أنّ العبادة والتّنسّك يجب أن يصحبها معرفة الله تعالى، فقد سئل: من هو الصّوفي؟ فأجاب بأنّه:"من ذا نطق أبان نطقُه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارحُ بقطع العلائق"(٣)، ومعنى ذلك: أنّه الّذي يجمع بين عمق الحكمة، وصدق السّلوك.

ويتجّه ذو النّون إلى ربط المعرفة بالشّريعة، حيث يقول: "علامة العارف ثلاثةٌ: لا يطفئ نورُ معرفتِه نورَ ورعِه، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم، ولا تحمله كثرةُ نعم الله عزّ وجلّ عليه على هتك أستار محارم الله تعالى"(٤)، كما ويطلق على الصّوفي لقب العارفُ، حيث يقول: "إنّ العارف لا يلزم حالةً واحدةً، إنّما يلزم ربَّه في الحالات كلّها"(٥).

قال السيد الشيخ أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ):"المعرفة شجرة لها ثلاثة أغصان الأول هو التوحيد وهو بمعنى الإقرار أي قطع الأنداد وثانيها هو التجريد وهو بمعنى الإخلاص أي قطع الأسباب والثالث هو التفريد وهو بمعنى الانقطاع إلى الله سبحانه بالكلية في كل حال ويعني الاتصال بلا سير ولا عين ولا دون"(٦)، قال الشيخ عبد القادر الكيلاني(ت٥٦١هـ)" إن

---

(١) ينظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي، د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة، القاهرة.: ص١٠٦.

(٢) ينظر: تاريخ التصوف في الإسلام، د. صادق غني، ترجمة عن الفارسية: صادق نشأت، دار نينوى، دمشق، ط١، ٢٠١٧م: ص ٤٤٣ وما بعدها.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م: ٢٢/١.

(٤) الرسالة القشيرية: ٤٨٢/٢.

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٣٩٥/٩.

((٦ موسوعة الكسنزانية: ١٥ / ٢٧٤.

علم العرفان هو التوحيد وبه يصل العارف إلى معروفه ومحبوبه ونتيجته الطيران بالروحانية إلى عالم القربة " [١]، قال الشيخ محمد الكسنزاني في معرفة النفس:"النفس هي مضمار الصراع الذي خاضه أهل الطريقة انتصاراً أو انكساراً أو كراً أو فراً وهي الرفيق المخادع فيها التقوى والفجور وهي مفتاح النجاة والهلاك: ﭧ ﭨ ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[٢]، وبما أن النفس تميل إلى حب الشهوات فإن مخالفتها إطاعة لله وقهرها عدل ورحمة بها ومطاوعتها والرأفة بها ظلم لها[٣].

إنَّ معرفة الإنسان لربِّه وخالقه ومعبوده، بصفاته الأزليِّة والأبديَّة، هي أوَّل ما يجب عليه، وقد أكَّد ذلك علماء الإسلام ، وليس بينهم خلاف في وجوب وإمكان هذا النَّوع من المعرفة.

ولمعرفة اللّه تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى دور كبير في سلوك الإنسان، فيصير بذلك خائفاً منه تعالى، حليماً، نافعاً، صالحاً مصلحاً، مأمون الجانب[٤].

وعليه فإنّ الإسلام يوجب على المكلّف حتى يكون مؤمناً أن يصدّق بالله تعالى عن جزم ويقين، ولا يقبل منه مجرد تخمين ظني قلبي أو وجداني لا يقوم على أساس، ولو قارن ذلك التزامٌ بالأخلاق والمكارم والأفعال الحسنة في الظاهر.

المطلب الرّابع: الولاية:

الولي في اصطلاح:" الولي فعيل بمعنى الفاعل وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان أو بمعنى المفعول فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله والولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات" [٥] .

---

(١) مدارج السالكين: ٣ / ٣٦٤ .

(٢) سورة الشمس، الآية: ٧ – ٨

(٣) موسوعة الكسنزانية : ص ١٥ / ٢٧٤.

(٤) للاطلاع على أقوالهم، ينظر: شرح الأُصول الخمسة: الهمداني (قاضي القضاة عبد الجبّار بن أحمد بن خليل الأَسد آبادي المعتزلي – ت ٤١٥هـ) ، تحقيق: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، مطبعة الاستقلال، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ–١٩٦٥م: ص ٣٩، والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: الباقلاّني (القاضي أبو بكر محمّد بن الطَّيب بن جعفر البصري – ت ٤٠٣ هـ) ، تحقيق: محمّد زاهر بن الحسن الكوثري، مؤسّسة الخانجي للطّباعة والنّشر، مطبعة السّنة المحمّدية، ط٢، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م: ص ٢٢، و المقاصد النّووية السّبعة: النّووي (يحيى بن زكريا) ، مكتبة المثنى، بغداد، ط١، (د.ت) : ص ٣،

(٥) التعريفات: ص ٣٢٩.

وفي اصطلاح أهل العرفان: الولي عندهم هو: عبد لله، اختصه الله بعنايته وتوفيقه و اصطفاه من بين عبيده، وهو عبد لا يضر ولا ينفع بذاته كباقي البشر، هو دون الأنبياء في المرتبة والمنزلة، إذ لا أحد يصل إلى رتبة الأنبياء مهما ارتقى في مراتب الولاية، لذلك فالولي ليس بمعصوم عن الخطأ، إلا من عصمه الله [1]. ويستشهدون بالآية القرآنية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[2] ،فالمتقون هم أولياء الله. وقد ورد تحذير في أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم --، وذلك كما في الحديث القدسي :((من عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))[3].

وما يظهره الله تعالى على أيديهم الكرامات فالكرامة: هي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد بعض الصالحين غير مقرون بالتحدي. أما الفرق بينها وبين المعجزة وغيرها: أن المعجزة مقرونة بدعوى الرسالة أو النبوة وقت إمكانهما أي قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم -- أما بعده فلا معجزة حتى تشتبه بالكرامة، حيث النبوة والرسالة ختمت، والكرامة ليست مقترنة بالرسالة، و-أيضاً - المعجزة يجب إظهارها، والكرامة لا يجب إظهارها، وأما الاستدراج:هي أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد فاسق أو كافر ليقيم عليه الحجة، والكرامة ما صدرت على يد من يتبع الشريعة حرفياً ولا يخالف الأوامر والنواهي، وأما السحر: هو استعمال أساليب وفق قواعد مقدرة في علم السحر يخلق الله بعد استعمال هذه الأساليب ما لم تجرِ به العادة وله حد محدود وفق ذلك العلم، ولكن المعجزة والكرامة غير داخلتين تحت سيطرة علم وقواعد مقررة وأسباب وأساليب وإنما هو بمجرد أمر الله ولا حد لهما [4].

---

(١) ينظر: القول الوفي شرح اللطف الخفي، للشيخ محمد طه باليساني (١٣٣٦- ١٤١٥هـ) من البداية الى مسألة الشفاعة - دراسة وتحقيق - إعداد: زاهد خالد فائز ،إشراف أ.د.عادل عبدالله الشيرواني،في كلية العلوم الإسلامية - جامعة صلاح الدين - أربيل، رسالة الماجستير في الدراسات الإسلامية: ص٧٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٢ - ٦٣

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق ، باب التواضع، رقم الحديث ٦١٣٧: ٥/٢٣٨٤

(٤) ينظر: القول الوفي شرح اللطف الخفي: ص٧٥، والسحر والشعوذة في ضوء الكتاب والسنة: الدكتور: محمد أحمد عبد الغني، تقدمة: مركز أبي بكر الصديق نهر البارد -لبنان، دار العلوم العربية للطباعة والنشر بيروت، (د.ط) ،(د.ت) : ص ١٩، والعقائد الإسلامية: سيد سابق (ت١٤٢٠هـ) ، دار الكتاب العربي - بيروت، (د.ط) ،(د.ت) : ص ٢١٥، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (ت١٤٢٢هـ) ، ط١٢، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، (د.ن) : ص١٤٠، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء، ط١، ١٤٢١هـ، وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية: ص ٢٠٣.

فتعدّ الولاية من النّظريات والأفكار الّتي اتسم بها الفكر الصّوفي بعد نهاية القرن الثّاني الهجري، وأصل هذه الفكرة وجذوره فكرةٌ بسيطةٌ مستمدّةٌ من القرآن الكريم، حيث يقول ربّ العزّة والجلال: [أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ](١)، وفي تفسيره لهذه الآية الكريمة يذهب القشيري (ت٤٦٥هـ) إلى أنّ كلمة الولي لها معنيان:

أحدهما: من يتولّى الله سبحانه أمرَه ورعايتَه، يقول الله تعالى: [وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ] (٢) ، فلا يكله إلى نفسه لحظه. والثّاني: من يتولّى عبادة الله تعالى وطاعته، فعبادتُه تجري على التّوالي من غير أن يتخلّلها عصيانٌ"(٣)، ثمّ يعلّق على المعنيين السّابقين قائلاً: وكلا الوصفين واجبٌ حتى يكون الوليّ ولياً، يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء، والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إيّاه في السّرّاء والضّرّاء(٤).

ولكن هذه الفكرة البسيطة لم تبق عند الصّوفية بسيطةً على حالها، بل أضافوا إليها معاني أخر، منها: قبوله للإلهام الإلهي، وجريان الكرامات على يديه، وتدرّجه في المراتب حتى يصل إلى مرتبة القطب، ويعدّ الحكيم التّرمذي (ت٣٢٠هـ)(٥) رائد المتصوّفة في تأصيل الولاية، والتّطوّر بها، وتحويلها إلى نظريةٍ، حيث يعرّف الولي بأنّه:" من ولي اللهُ هدايتَه، ونصرَه، وأخذَه من نفسه، ورفعَه بمحمل علي، جاهد فصدق الله في جهده حتى إذا استفرغ وسعه في ذلك ألقى نفسه بين يديه ضرعاً مستكيناً مستغيثاً به صارخاً إليه مضطراً"(٦).

ثمّ يذهب الحكيم التّرمذي إلى تقسيم الولاية إلى صنفين اثنين: **أحدهما:** ولاية الصّدق الّتي يمكن أن ينالها الصّوفي بجهده ومداومة عمله، ويسمّى في هذه الحالة: وليّ حقّ الله تعالى. **والثّاني:** ولاية المنّة الّتي تأتى هبةً من الله تعالى عن طريق الاصطفاء، ويسمّى: وليّ الله تعالى، ويقرّر الحكيم التّرمذي أنّ ولاية الصّدق تعمّ جميع المؤمنين الّذين عملوا صالحاً،

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات المسمى بتفسير القشيري، عبدالكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ط٣: ٢/١٠٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/١٠٤.

(٥) محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، المعروف بالحكيم الترمذي، ولد بترمذ، و توفي سنة ٣٢٠هـ، وله كتب عديدة، ومن أشهرها: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، وكتاب الرياضة وأدب النفس، وكتاب ختم الولاية وعلل الشريعة. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ١٣/٤٣٩؛ الأعلام: ٦/٢٧٢.

(٦) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م: ٢/٢٣٣.

وصدقوا المرسلين، في حين أنّ ولاية المنّة قاصرةٌ فقط على أحباب الله وأصفيائه الّذين اجتباهم الحقّ لنفسه، وهداهم به إليه[١].

وفي سعيه لصياغة فكرة الولاية يذهب الحكيم التّرمذي في كتابه "ختم الأولياء" إلى أنّ أولياء الله تعالى لهم سماتٌ بارزةٌ، ومن هذه السّمات كما يذكره هو، هي:

١- أنّهم إذا رآهم النّاس يُذكر الله تعالى.
٢- أنّ لهم سلطان الحق، لا يقاومهم أحدٌ حتى يقهره سلطان حقّهم.
٣- استجابة الدّعوة، وظهور الآيات البيّنات على أيديهم.
٤- أنّ لهم الفراسة والإلهام.
٥- أنّ من آذاهم صُرع وعُوقب بسوء الخاتمة.
٦- اتّفاق الألسنة بالثّناء عليهم إلّا من ابتلي بحسدهم[٢].

المطلب الخامس: الفناء:

الفناء واحدةٌ من أشهر أفكار التّصوّف الإسلامي، وقد تحدّث عنه بوضوحٍ متصوّفةُ القرن الثّالث والرّابع، وعندما ننظر فيما يقوله هؤلاء الصّوفية نجد أنّ للفناء أكثر من معنىً، فهو يشير عندهم أحياناً إلى معنى أخلاقي حيث يعرّفونه بأنّه "سقوط الأوصاف الذّميمة"[٣]، ومن ابتعد عن أوصافه الإنسانية المذمومة يظهر عليه الخصال الحميدة، وأحياناً يقصدون بالفناء فناء الإنسان عن إرادته، وبقاءه بإرادة الله تعالى، وقد أشار أبو نصر الطّوسي إلى هذا المعنى حينما عرّفه بأنّه: هو "فناء رؤيا العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك" [٤]، كما ويشير إليه القشيري بقوله:"ومن شاهد جريان القدرة في تصاريف الأحكام يقال: فنى عن حسبان الحدثان من الخلق"[٥]،وقد ذهب المتأخرّون من الصّوفية إلى تسمية هذا الفناء بالفناء عن إرادة السّوى [٦].

والإنسان في نظر التّصوّف الإسلامي عندما يذوب في التّعبّد، ويذهب إلى حالة الفناء، يذهب معه حسّه ووعيه، فلا يحسّ الصّوفي بشيءٍ من أعضائه وجوارحه، ولا بنفسه، ولا بأيّ

---

(١) ختم الأولياء، الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م: ص ٥ وما بعدها.
(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ص ٤٢.
(٣) الرسالة القشيرية: ١/١٧٠.
(٤) اللمع: ص ٤١٧.
(٥) الرسالة القشيرية: ١/١٧٠.
(٦) المصدر نفسه.

شيءٍ ممّا هو موجودٌ حوله، حيث يوضّح القشيري ذلك: "وإذا قيل: فني عن نفسه، وعن الخلق، فنفسه موجودةٌ، والخلق موجودون، ولكنّه لا علم له بهم ولا به، ولا إحساس، ولا خبر، فتكون نفسه موجودةً، والخلق موجودون، ولكنّه غافلٌ عن نفسه، وعن الخلق أجمعين، غير محسّ بنفسه وبالخلق"(١).

وبالاعتماد على ما أوردناه هنا من معاني ودلالات الفناء وغيرها ممّا لم يمكننا إيراده هنا نستطيع أن نعرِّف الفناء بتعبيرٍ بسيطٍ بأنّه: أن يدخل الصّوفي في حالة محو صفاته البشرية والإنسانية، وغيابه تماماً عن رؤية العالم الخارجي، بما فيه نفسُه وجوارحُه، وقد يقال إنّها حالةٌ عدميةٌ، يخرج فيها الصّوفي من العالم، ثمّ يعود إلى حالة البقاء، أي عودة الصّوفي من ذلك الفناء إلى الإحساس بذاته، والوعي بنفسه، ورؤية العالم من جديدٍ، وهكذا يبدو الفناء مثل رحلةٍ خاطفةٍ في المجهول، تتبعها عودةٌ إلى المعلوم، غيابٌ في ملكوت الرّوح، ثمّ عودةٌ إلى عالم الحسّ والمشاهدة(٢).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي: ص١١٠-١١١، تاريخ التصوف في الإسلام: ص٤٠٩ وما بعدها.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث استطاع الباحث أن يتوصل إلى جملة من النتائج، وهذه أهمها:

١. أوّل ظهورٍ للتّصوّف ورموزه في كردستان يعود إلى القرن الثّالث الهجري، ولكن الانتشار الأوسع والكامل كان في حدود القرن الرّابع، وكان ذلك بالتّزامن مع تحوّل التّصوّف من مرحلة الزّهد الفرديّ إلى مرحلة النّضوج والنّشأة تحت مسمّى التّصوّف، وكذلك تكوّن ما بات يطلق عليه لاحقاً الطّرق الصّوفية.
٢. العوامل الّتي أدَّت وساعدت على انتشار الفكر الصوفي في منطقة إقليم كردستان تتنوع بين عوامل مذهبية، وعوامل سياسية واجتماعية، بالإضافة إلى عامل اللغة والثقافة المختلفة.
٣. الطرق الصوفية في العالم الإسلامي كثيرة ومتنوعة، ويشتهر منها اثنتان في إقليم كردستان، وهما الطريقة القادرية، والطريقة النقشبندية، ولكل منهما أتباع، ومؤسسات كثيرة في مختلف البقاع والمدن.
٤. تشير المصادر التّأريخية إلى أنّ الطّريقة الصوفية بدأت تنتشر في كوردستان، وتستقطب لها أتباعاً في حدود القرن السّابع الهجري، واستمرت في الانتشار والتّوسّع داخل المجتمع الكردستاني حتى وصلت إلى أوج انتشارها في القرن الثّاني والثّالث عشر.
٥. وفق المصادر التّأريخية وصلت الطّريقة النّقشبندية إلى كردستان وانتشرت في ربوعها عن طريق الشّيخ مولانا خالد النّقشبندي المعروف بذي الجناحين، ويعود ذلك إلى أوائل القرن الثّاني عشر الهجري، حيث اتصل مولانا خالد بالطريقة النقشبندية في بلاد الهند، ودخل في الإرشاد والطّريقة، ثمّ رجع إلى كردستان، وعلى وجه الخصوص منطقة شهرزور، ومن هذه المنطقة بدأ بالدّعوة إلى الطّريقة الجديدة، فانتشرت بسرعةٍ في جميع نواحي بلاد الأكراد من شرقها إلى غربها.
٦. أدى التصوف وطرق التصوف دوراً كبيراً في دعوة الناس إلى الله تعالى، والتمسك بشريعة الإسلام، وسنة رسول الله، والحفاظ على الفكر العقدي الصحيح الذي كان منتشراً بين الشعب الكردي، فمن المعلوم أن الكرد، بعد نشأة المذاهب العقدية، تمسكوا بالمذهب الأشعري الّذي يعد من أحكم وأعدل وأصلح وأقوم المذاهب العقدية، ولذلك ارتضاه العالم الإسلامي بالقبول.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

١. أحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
٢. أضواء على التصوف، نقلاً عن: سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الإسلام، د. طلعت غنام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.
٣. ئيمامي شافعي وپيرەوكردنی لە رێبازی ئەهل تصوف ، د. حسن خالد المفتي،ط١.
٤. الأكراد وبلادهم، المقدم شيخ عبدالوحيد، دار آراس، أربيل، ط٢، ٢٠١١م.
٥. الأَكراد في بهدينان: (أنور المايي)، مطبعة خبات، دهوك، ط٢، ١٩٩٨م.
٦. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين،ط١٥ – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٧. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: الباقلاّني (القاضي أبو بكر محمّد بن الطَّيب بن جعفر البصري – ت ٤٠٣ هـ)، تحقيق: محمّد زاهر بن الحسن الكوثري، مؤسّسة الخانجي للطّباعة والنّشر، مطبعة السّنة المحمّدية، ط٢، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.
٨. تاريخ التصوف في الإسلام، د. صادق غني، ترجمة عن الفارسية: صادق نشأت، دار نينوى، دمشق، ط١، ٢٠١٧م.
٩. تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، تعريب: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨م.
١٠. تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،تحقيق مجموعة من المحققين،الناشر دار الهداية، د.ط ،د.ت.
١١. تزكية النفوس، أحمد فريد، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م.
١٢. التصوف الإسلامي (مفهومه، نشأته وتطوره، مصادره)، د. عفاف مصباح بلق، مجلة كليات التربية، العدد الرابع عشر، يونيو ٢٠١٩م
١٣. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م.
١٤. التصوف الثورة الروحية في الإسلام، أبو العلا عفيفي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٠م.
١٥. التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦. تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، ،تحقيق د. السيد الجميلي ،الناشر دار الكتاب العربي،١٤٠٥ – ١٩٨٥، بيروت

١٧. جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٤١١هـ. ١٩٩١م.

١٨. الحديقة الندية في أداب الطريقة النقشبندية، محمد بن سليمان البغدادي، المطبعة العلمية بمصر ١٣١٠هـ.

١٩. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥.

٢٠. حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، دار العرفان، حلب، ط١٦، ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م.

٢١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٢٢. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي ،حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت ،ط٢، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م

٢٣. ختم الأولياء، الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٢٤. خلفاء مولانا خالد، عباس العزاوي، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي الكردي، الجزء الثاني، سنة ١٩٧٤م.

٢٥. دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، د. صالح الرقب، د محمود الشوبكي، الجامعة الإسلامية، غزة، ط١، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٦م.

٢٦. دور التصوف في نشر الدعوة . محافظة السليمانية أنموذجاً، صباح عبدالرحمن أحمد، رسالة ماجستير في كلية الإمام الأعظم الجامعة . بغداد، سنة ١٤٣٤هـ. ٢٠١٣م.

٢٧. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الدكتور عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط١.

٢٨. رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م.

٢٩. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ، ١/٢٠٤.

٣٠. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا ٢٠١٠ م.
٣١. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ت ١٩٨٥م.
٣٢. شرح منازل السائرين، كمال الدين الكاشاني، تحقيق: محسن بيدارفر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
٣٣. شرح الأُصول الخمسة: الهمداني (قاضي القضاة عبد الجبّار بن أحمد بن خليل الأَسد آبادي المعتزلي ت ٤١٥هـ)، تحقيق: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، مطبعة الاستقلال، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ–١٩٦٥م
٣٤. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.
٣٥. الصوفية والفقراء، ابن تيمية، تحقيق: محمد جميل غازي، دار المدني، جدة، ط١.
٣٦. طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
٣٧. طبقات الشافعية، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبدالحليم خان، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٣٨. الطرق الصوفية: نشأتها وعقائدها وآثارها، د. عبدالله بن دجين السهلي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.
٣٩. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، ط٢.
٤٠. الطريقة النقشبندية وأعلامها، د. محمد أحمد درنيقة، جروس برس، طرابلس . لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
٤١. علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي، ناجي معروف، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣م.
٤٢. علمائنا في خدمة العلم والدين، عبدالكريم المدرس، اعتنى بنشره: محمد علي القرداغي، ط١، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م.
٤٣. الفتوحات المكية، محي الدين محمد بن علي بن محمد المعروف بابن عربي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤. الكرد دراسة سوسيولوجية وتاريخية، باسيلي نيكيتين، مؤسسة حمدي للطباعة والنشر، السليمانية، ط٣، ٢٠٠٧م.
٤٥. الكرد في لرستان وشهرزور خلال العصر الوسيط، حسام الدين النقشبندي، مؤسسة ذين، السليمانية، ٢٠١١م.
٤٦. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، محمد عبدالرحيم المناوي، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت.
٤٧. اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، دار صادر، بيروت.
٤٨. لة شةريعةتةوة بؤ حةقيقةت سةرهةلَداني سؤفيطةري لة ثانتايي كورديدا.د. حيدر لشكري.
٤٩. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت،ط١.
٥٠. لطائف الإشارات المسمى بتفسير القشيري، عبدالكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ط٣.
٥١. اللمع، أبو نصر السراج الطوسي، تحقيق: عبدالحليم محمود، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠م.
٥٢. لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، أبو محمد الشعراني، مكتبة محمد المليجي، مصر، ١٣١٥هـ.
٥٣. مةولانا خاليد تةريقةتي نةقشبةندي، سيد محمد سيد طاهر الهاشمي، ترجمة من الفارسية: دليَر ميرزا، مطبعة قانع، السليمانية، ط١، ٢٠٠٤م.
٥٤. متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري، عمر سليم عبدالقادر التل، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م.
٥٥. محمد بن عبد الله الجلي وجهوده الدعوية، د. جواد فقي علي حيدري، طبعة وزارة التربية أربيل لسنة ٢٠٠٦م .
٥٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م.
٥٧. مدخل إلى التصوف الإسلامي، د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة، القاهرة.
٥٨. المشارع والمطارحات، السهروردي، تحقيق: د. مقصود محمدي، منشورات ياوران، إيران.
٥٩. معالم التصوف الإسلامي، د. حامد طاهر، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٦٠. معجم اللغة العربية المعاصرة. د. أحمد مختار عبد الحميد، (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٦١. معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت.
٦٢. معجم مقاييس اللغة ،ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المحقق عبد السلام محمد هارون الناشر : دار الفكر ،الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٦٣. المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، د. حسن حلاق، د. عباس صباغ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م.
٦٤. المعجم الوسيط: قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية، إستانبول، ط١، ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م.
٦٥. الموسوعة الصوفية، د. عبدالمنعم الحفني، دار الرشيد، ط١، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.
٦٦. الموسوعة الكسنزانية، الشيخ محمد الكسنزاني، دار المحبة، ديمشق . بيروت، ٢٠٠٥م.
٦٧. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من المؤلفين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.
٦٨. مناقب شمس الشموس در حق حضرت موالنا خالد العروس، حسن شكري، مطبعة محمود بك، درسعادت، ١٣٠٢.
٦٩. مقدمة ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، تحقيق ، دار القلم، بيروت –١٩٨٤ .
٧٠. المقاصد النّووية السّبعة: النّووي (يحيى بن زكريا)، مكتبة المثنى، بغداد، ط١، (د.ت).
٧١. نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، عرفان عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٧٢. النصرة النبوية، مصطفى المدني، مطبعة العامرية، مصر.
٧٣. نفحات الأنس، نقلاً عن: إحسان إلهي ظهير، التصوف: المنشأ والمصادر، عبدالرحمن الجامي، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ط١، ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م.
٧٤. نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.
٧٥. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)،المحقق:أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث–بيروت،١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م،(د. ط).
٧٦. يادي مةردان، ملا عبدالكريم المدرس، ١٩٧٩م، مطبعة ئاراس، أربيل، ط٢، ٢٠١١م.
٧٧. https://ar.wikipedia.org/wikiتاريخ زيارة:٢٠٢٣/٢/٧.
٧٨. https://www.ammonnews.net تاريخ الزيارة:٢٠٢٣/٢/٧.